جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
وتحت إشراف:
المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي
و بالتعاون مع: مركز البحث في التكنولوجيات الصناعية
ملتقى الدكتوراه الدولي متعدد الاختصاصات(IPPM'20)

الطبعة الأولى، 23--26 فيفري 2020
الموضوع: التكنولوجيا الحديثة وجودة الحياة

قالب الملتقى : 4 إلى 5 صفحات

عنوان المداخلة: صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم عند الشيخ الشَّعراوي وأثرها في دعوته

السعيد مسعي محمد ، عبد السلام درويش
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
mesai-mohammed-said@univ-eloued.dz

الملخص باللغة العربية

يعد الشيخ محمد متولى الشعراوي أمام الدعاة وأشهر من فسر القرآن الكريم في العصر الحديث والمعاصر، واحتل بهذا اللون العلمي مكانة رفيعة بين الناس واستغل ذلك في نشر الإسلام وتوضيح مناهجه وأحكامه بغية هداية الناس وترشيد العقول للفهم الصحيح والسليم للإسلام باعتبار الدين الوحيد الذي يضمن للإنسانية جمعاء أسس الحياة السعيدة ومعالم الأمن والسلام الاجتماعي، ولقد تعددت ميادين العمل الخيري للشيخ الشعراوي من خلال استعاب دوره في الحياة، حيث كرس حياته رحمه الله في كل ما يخدم الدين والمجتمع، ومن أجل ذلك جاءت هذه الدراسة تهدف إلى تبيان جملة من المفاهيم الخاصة بالإعجاز العلمي وبيان جزئية من صور الاعجاز العلمي عند الشيخ الشعراوي من خلال تفسيره للقرآن الكريم في جانب الدعوة.

Summary

Sheikh Muhammad Metwally Al-Sha'rawi is considered one of the foremost Islamic scholars and Quranic interpreters in the modern and contemporary era. He has attained a prominent position in the scholarly community and has utilized this platform to spread Islam, elucidate its principles and rulings, aiming to guide people and enlighten minds towards a correct and sound understanding of Islam. He viewed Islam as the only religion that guarantees humanity the foundations of a happy life, security, and social peace. Sheikh Al-Sha'rawi's charitable work spanned various fields, reflecting his

dedication to serving religion and society. This study aims to elucidate a range of concepts related to scientific miracles and to highlight some instances of scientific miracles as interpreted by Sheikh Al-Sha'rawi in his Quranic exegesis within the realm of preaching.

1. **ملخص الدراسة** ـ الملخص ـ الكلمات المفتاحية

بسم الله وكفى ثم الصلاة والسلام على المصطفى وآله وصحبه ومن به اقتفى وبعد: يعد الشيخ محمد متولى الشعراوي أمام الدعاة وأشهر من فسر القرآن الكريم في العصر الحديث والمعاصر، واحتل بهذا اللون العلمي مكانة رفيعة بين الناس واستغل ذلك في نشر الإسلام وتوضيح مناهجه وأحكامه بغية هداية الناس وترشيد العقول للفهم الصحيح والسليم للإسلام باعتبار الدين الوحيد الذي يضمن للإنسانية جمعاء أسس الحياة السعيدة ومعالم الأمن والسلام الاجتماعي، ولقد تعددت ميادين العمل الخيري للشيخ الشعراوي من خلال استعاب دوره في الحياة، حيث كرس حياته رحمه الله في كل ما يخدم الدين والمجتمع، فاهتم في مطلع حياته بدراسة اللغة العربية دراسة دقيقة ومحكمة ما ساعده على فهم معاني آيات القرآن الكريم، فتشكلت له ملكة لغوية فاصبح له بذلك قدرة على تفسير القرآن الكريم ويسمى تفسيره بـ: (خواطر الشيخ الشعراوي في تفسير القرآن الكريم)، وأثناء توغله في معاني وتفسير الآيات القرآنية فأصبحت له نظرة وإشارة علمية حول آيات الإعجاز العلمي، فأعطى بذلك تفسيرا ما يخدم الإسلام ويدعو إليه.

2. **تقديم موضوع البحث:** الإشكالية ـ الأهداف ـ مفاهيم الدراسة ـ التعريفات الإجرائية

الإشكالية: ما هي صور الإعجاز العلمي عند الداعية الشعراوي؟ وما أثر ذلك في دعوته؟

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى:

- التعريف بالإعجاز العلمي.
- بيان صور الاعجاز العلمي عند الشيخ الشعراوي.
- بيان الدعوة عند الشعراوي من خلال نظرته للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
- بيان أثر الإعجاز العمي في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ.

مفاهيم الدراسة والتعريفات الاجرائية: جاء في هذه البحث التعريف بكل من الدعوة الإسلامية، الأعجاز العلمي، نبذة مختصرة عن الشيخ الشعراوي.

3. **الإجراءات المنهجية**: خطوات العمل ـ المنهج وأدوات الدراسة ـ العينة .

نظرا لطبيعة البحث فقد اقتضت الدراسة الاستعانة واتباع المنهج التحليلي والوصفي.

4. **خلاصة النتائج: من خلال هذا البحث نستنتج النتائج التالية:**

- أن الشيخ الشعراوي أمام الدعاة.
- يعد الشيخ أبرز العلماء والدعاة الذين فسروا القرآن الكريم في العصر الحديث.
- توسع المجال الدعوي عند الشيخ الشعراوي من خلال إشارته لآيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
- اتساع دائرة الفهم للواقع من خلال المعرفة العلمية الدقيقة للمصطلحات القرآنية.
- تنوع الثقافة والمعرفة للشيخ الشعراوي اكسبته نظرات علمية في علوم شتى، ما زاد ذلك في اتساع دائرة مجلسه واستجابة دعوته.
- أدَّى الإعجاز العلمي دوراً أساسياً في استراتيجية العمل الدَّعوي في العصر الحديث، ما زاد في اتساع دائرة الإسلام وانتشاره في بقع شتى.

5. **الصعوبات التي واجهها الطالب**

- نظرا لطبيعة البحث فإن الدراسة تتطلب مزيدا من الوقت وكثرة المراجع لذا من صعوبات البحث ضيق الوقت وندرة المصادر والمراجع.

6. **المراجع**

- محمد عبد العظيم الزّرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1؛ 1415هـ/1995م، ج1.
- محمد علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن، دار البعث، قسنطينة، ط:3؛ 1407هـ/1986م.
- محمود فوزي: الشيخ الشعراوي وفتاوى العصر، الجداوى للنشر، د.م، ط:6؛ (د.ت).
- أحمد زين: الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي وقضايا العصر، دار الجيل، بيروت / مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط:2؛ د.ت، ج5.
- محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، مصر.
- محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن الكريم، دار أخبار اليوم، (د.م)، (د.ط)، (د.ت)، ج2.

- محمد متولي الشعراوي: الأدلة المادية على وجود الله، دار أخبار اليوم، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

عنوان المداخلة: صور الإعجاز العلمي عند الشيخ الشَّعراوي وأثرها في دعوته

مقدمة

لقد استقطب حيز الدعوة الإسلامية العديد من رجال الدين والشريعة الذين أناروا الطريق بمنهج استوحت كلماته من فيض الوحي الإلهي، وسنة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أولئك الدعاة الشيخ متولي الشعراوي، وهو أحد كبار العلماء والدعاة العاملين في مصر الذين برعوا بشكل كبير في المجال الدعوي، باعتباره أحد أعمدة الدعوة في العصر الحديث والمعاصر، حتى سُمي ولُقب بإمام الدعاة، ولقد تقلد في حياته عدة مناصب ولعل أبرزها وزير للأوقاف، حيث خاض فيها العمل على قواعد أفرزتها الشريعة الإسلامية، وأسس مبنية على تقوى من الله تعالى بغية توظيف معطيات الدين وأحكامه، وإيصاله إلى رجال الحكم والسياسة، وذلك لإخراجه في أحسن صورة أرادها الشارع الحكيم، وفي أحسن عرض وتقديم.

ونظرا للواقع المعيش وعصرنته وحداثة طبيعته، يتطلب من الدعاة اكتساء شخصياتهم بالطابع العلمي في مجرى حياتهم الدعوية، حتى يتم استجابة الدعوة لهم، وفي ذلك فقد جاد الشيخ الشعراوي الحديث العلمي في تفسير القرآن الكريم وبالأخص تفسير الآيات ذات الإشارات العلمية وأعطى لها أهمية بالغة ليُحدث الأثر في النفوس والاستجابة لنداء الله تعالى في الدخول إلى الإسلام. والإشكال المطروح: فيما تتمثل صور الأعجاز العلمي عند الشيخ الشعراوي،؟ وما أثر ذلك في دعوته؟

يعد الإعجاز العلمي –في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية المطهَّرة– من أجلِّ القضايا، ومن أعظم المباحث في عصرنا الحديث، كونه يهتم بدراسات علمية حول جُل الظَّواهر الكونية التي خلقها الله تعالى، واستودعها في ملكوته بمختلف أشكالها وأنواعها، كما أنَّه يتناول موضوعات مرتبطة بواقع الحياة الإنسانية، وينتج عنها الإيمان الراسخ بالله تعالى، والإقرار بوحدانيته وقدرته الفعَّالة على جميع ما خلق في ملكوته من مخلوقات شتَّى، فهي دالة بدرجة أُولى على وجود خالق ومدبِّرٍ حكيم لهذا الكون، وأنَّه دبَّر وقدَّر شؤون الحياة على اختلاف مكوناتها، وهذا ما يدلُّ على أنَّه إله واحد لا شريك له، قال تعالى: ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (163) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [1].

وقبل التَّطرق لشيء من تفاصيل هذه النَّماذج نورد مفهوم المعجزة عند بعض العلماء، حيث يُعرِّفها الشَّيخ الزَّرقاني– رحمه الله تعالى– بقوله: "المعجزة هي أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدّعي النُّبوّة، عند دعواه إياها؛ شاهدا على صدقه.."[2]، كما يعرِّفها القسطلاني(ت923هـ) في كتابه (المواهب اللَّدنية):

1– سورة البقرة الآيات 163، 164.

2– محمد عبد العظيم الزّرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1؛ 1415هـ/1995م، ج1، ص63.

"اعلم أنَّ المعجزة هي: الأمر الخارق للعادة المقرون بالتَّحدي الدَّال على صدق الأنبياء–عليهم الصَّلاة والسَّلام– وسُمِّيت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها، لها شروط: أحدها أن تكون خارقة للعادة، كانشقاق القمر للمصطفى، وانفجار الماء بين أصابعه ﷺ، وقلب العصا حية... والثَّاني أنْ تكون مقرونة بالتَّحدي، وهو طلب المعارضة."[1]

لقد أدَّى الإعجاز العلمي دوراً أساسياً في استراتيجية العمل الدَّعوي في العصر الحديث، ما زاد في اتساع دائرة الإسلام وانتشاره في بقع شتى، وهذا راجع لحكمة الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم، ولاهتمام العلماء والباحثين بتنمية شؤون هذا العلم من جوانب كثيرة، حيث ساهم في دخول علماء كثيرين في الإسلام على اختلاف أجناسهم ودياناتهم.

وإذا نظرنا بتأمّل إلى واقع دلائل معجزات الأنبياء نرى أنَّها "إذا كانت معجزات السابقين معجزات (مادية حسيّة) فإن معجزة محمد بن عبد الله معجزة (روحية) وقد خصّه الله بالقرآن معجزة العقل الباقي على الزَّمان، ليراها ذوو القلوب والبصائر، فيستنيروا بضيائها وينتفعوا بهديها في المستقبل، والحاضر."[2]

وفي ذلك يقول ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وإِنَّما كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ.»[3]

لقد صدق الله وعد رسوله، بأنْ يكون أكثر النَّاس تبعاً له، لما استقطبته الأمَّة المحمَّدية من رُوَّاد وعلماء باحثين في دائرة هذا العلم، فكانوا على دربه ﷺ دعاة مهتدين، حيث أناروا العقول واستوطنوا القلوب بحقائق هذا الدِّين ومعجزات القرآن الكريم، حتى يتبيَّن أنَّه الحق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[4]، فصاروا منارة للعلم والرَّشاد.

ومن هنا قد اتخذ الدُّعاة الإعجاز القرآني وسيلة علمية من وسائل الدَّعوة، لما فيه من استجابة كبيرة من المدعووين تجاه الإسلام، ومن رواد الإعجاز العلمي في الوقت المعاصر: الشَّيخ عبد المجيد الزنداني، سعد زغلول النجار، محمد متولي الشَّعراوي رحمه الله تعالى.

وقد تميز الشَّعراوي عن غيره بالحديث عن إشارات ودلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتفسيره فهو بلا منازع "من أشهر أعلام المفكرين الإسلاميين، وأروع من قدم التَّفسير العصري للإسلام كعقيدة ومنهج، وعلاقته بالفكر الحديث وهو أشهر من بَين جوانب الإعجاز البياني والعلمي في القرآن الكريم."[5]

وقد تميز أسلوبه بالسهولة يتذوَّقه العام والخاص بمختلف مستوياتهم وثقافاتهم، فقد كما له فهم دقيق وإدراك عجيب للُّغة العربيَّة من نحوها وأصولها وقواعدها، فمكَّنته هذه الأخيرة من احتلال ملكة لغوية فريدة أصبح بفضلها قادرا على إعطاء

1- أحمد بن محمد القسطلاني: **المواهب اللدنية بالمنح المُحمَّديّة**، تحقيق صالح أحمد الشَّامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:2؛ 1425هـ/2004م، ج2، ص495.

2- محمد علي الصابوني: **التبيان في علوم القرآن**، دار البعث، قسنطينة، ط:3؛ 1407هـ/1986م، ص86، 87.

3- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (دار ابن كثير)، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، رقم الحديث: 4981، ص1273.

4- سورة فصلت الآية 53.

5- محمود فوزي: **الشيخ الشعراوي وفتاوى العصر**، الجداوى للنشر، د.م، ط:6؛ (د.ت)، ص13.

تفسيرات وإشارات علمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وفي هذا يقول عنه محمود فوزي: "إنَّ الشَّيخ الشَّعراوي ولا شك يخاطب النَّاس بلغة عصرهم دون اللُّجوء إلى المصطلحات الصَّعبة متوخياً السُّهولة والدِّقة .. إنَّه نموذج للأسلوب السَّهل الممتنع.. وهو في أحاديثه يعتمد أساساً على مخاطبة العقول بالمنطق دون إثارة العواطف بالمبالغات."[1]

ومن صور الإعجاز العلمي عند الشَّعراوي نذكر منها:

أ/ تأثير القرآن في النُّفوس[2]:

تُعدُّ معجزة تأثير القرآن الكريم في النَّفس البشرية من أكبر المعجزات القرآنية والسُّنن الإلهية التي سنَّها الله تعالى لعباده لتكون دليلاً عليه، وأثراً لرحمته، فهي من الآيات الكونية الواضحة الدَّلالة عند المسلمين وغيرهم من أهل الأديان والمذاهب الأخرى.

وفي هذا السِّياق اعتنى الشَّعراوي –رحمه الله تعالى– بصور الإعجاز العلمي وقضياه في كل من القرآن والسّنَّة –عناية خاصة– ما لفت أنظار المحبِّين والمستمعين له شوقًا لما يقول، ومن نماذج الإعجاز العلمي في القرآن الكريم قضية بلاغة القرآن وقراءته وأثر ذلك في النَّفس البشرية، وقد اتَّسم إعجازه بعدة وجوه لا شك في حقيقتها، ومن تلك الوجوه "التَّأثير البالغ الذي أحدثه في قلوب أتباعه وأعدائه، حتى بلغ من شدَّة التَّأثير أنَّ المشركين أنفسهم كانوا يخرجون في جنح اللَّيل يستمعون إلى تلاوة القرآن من المسلمين، وحتى تواصوا فيما بينهم ألا يستمعوا إلى القرآن، وأنْ يرفعوا أصواتهم بالضَّجيج حينما يتلوه محمَّد لئلاَّ يؤمن به النَّاس."[3]، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [4].

وفي ذلك يقول الشَّعراوي: "من إعجاز القرآن أنَّه يحيط بالحالات النَّفسية للمخاطبين جميعا الغني منهم والفقير، التَّعيس منهم والسَّعيد، الخادم منهم والسَّيد، يخاطبهم جميعا ويخاطبهم في حالاتهم النَّفسية كلّها، فالإنسان الغاضب إذا سمع القرآن هدأت نفسه والإنسان السَّعيد إذا سمع القرآن اهتزَّ في داخل نفسه وازدادت سعادته، والأمير والخادم، والمثقّف وغير المتعلّم، هؤلاء جميعاً الذين لا يمكن أنْ يجتمعوا على أي مستوى، ولا أن تتوحَّد عقلياتهم، بحيث يكلّمهم متحدِّث واحد وفي نفس الموضوع يفهمونه، تراهم في الصَّلاة وقد اجتمعوا في المسجد وجلسوا معا ويتلى القرآن فيهزُّ قلوبهم جميعا، رغم اختلاف الثَّقافة والبيئة والحالة النَّفسية، والحالة الاجتماعية وفي كل شيء اختلافاً بيّناً، ومن هنا كان الإعجاز الأوَّل في بلاغة القرآن، أنَّه يحيط بعلم حالات أفراد متعدّدين من أجناس مختلفة، وشعوب مختلفة لم يخاطبهم بما يهزُّ وجدانهم ومشاعرهم ويؤثر في عواطفهم."[5]

1- المرجع السابق، ص17.

2- انظر: أحمد زين: **الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي وقضايا العصر**، دار الجيل، بيروت / مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط:2؛ د.ت، ج5، ص18.

3- محمد علي الصابوني: **التبيان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص139، 140.

4- سورة فصلت الآية 26.

5- أحمد زين: **الشيخ الأمام محمد متولي الشعراوي وقضايا العصر**، مرجع سابق، ص18، 19.

ومازال الشَّعراوي في المسألة يقول: "فإذا سألت أحدهم ما الذي أعجبك في القرآن، فإنَّه غالباً لا يستطيع أن يعطيك جواباً شافياً، وإنَّما سيعطيك كل واحد منهم جواباً مختلفاً، وذلك يدلُّ على أنَّ الإعجاز واصل إلى قلبه متغلغل في نفسه بما لا يستطيع هو أن يصفه الوصف الكامل."[1]

ويُثمن الشَّعراوي كلامه –في هذا الرَّأي بلغة الإعجاز العلمي في القرآن بشيء من التَّفصيل– حيث يقول: "أي أنَّ القرآن يخاطب في النَّفس البشرية أحاسيس وملكات لا يعلمها إلاَّ خالقه .. وهذه الملكات .. لو عرفناها لعرفنا لما نتأثَّر بأسلوب القرآن .. ولكنَّنا نظلُّ نبحث ونحوم حول الآيات التي أعطت القرآن هذه البلاغة .. ثم بعد ذلك لا نجد جواباً شافياً إذْ أنَّ الله ﷻ يخاطب في النَّفس البشرية ملكات هو خالقها ..وأن هذه الملكات تتأثر بكلام الله ﷻ .. وتهتز له دون فارق من فوارق الدّنيا .. أو من الفوارق التي وضعتها الحياة الدّنيا بين النَّاس."[2]

ويُبرهن على ذلك بشاهدين اثنين ذكرتهما كتب السِّير تجلَّت فيهما نفحة من نفحات الاستماع إلى القرآن الكريم، حيث تأثَّرا به –القرآن– ولو كانا من قبل غير مؤمنين وهما الوليد بن المغيرة، وعمر بن الخطاب الذي أسلم بعد هزة الاستماع إلى القرآن حين دخل على أخته فاطمة وصهره (سعيد بن زيد)، حيث يقول الشَّعراوي: "كان أخشى ما يخشاه الكفار أنْ يستمع النَّاس إلى القرآن .. ولو كانوا غير مؤمنين .. فقد كان القرآن بمخاطبته لملكات كل نفس يهزها هزا عنيفا .. ويجعلها تتأثر به ..حتى أنَّ الوليد بن المغيرة حين استمع إلى القرآن قال: إنَّ له لحلاوة .. وأنَّ عليه لطلاوة .. وأنَّ أعلاه لمثمر .. وأنَّ أسفله لمغدق .. وأنَّه يعلو ولا يعلى عليه..

وهكذا تأثَّر به دون إيمان .. وعمر بن الخطاب ﷺ حين دخل بيت صهره بعد أن عَلِمَ بإسلام أخته وزوجها كان ناوياً الشَّر .. وما أنْ استمع إلى آيات من القرآن حتى هدأت نفسه .. وانشرح صدره للإسلام .. لماذا؟! .. لأنَّ كلام الله ﷻ قد خاطب ملكة في نفسه .. وهو في غاية الضّيق والحمق .. وينوي الشَّر .. وخاطب هذه النَّفس –نفس عمر بن الخطاب– وهي في هذه الحالة من الغضب الشَّديد بنفس الكلام الذي يخاطب به المؤمنين .. وهم في حالة انسجام وسعادة شديدة لقربهم إلى الله ﷻ وإذا بالآيات –نفس الآيات التي تُدخل السَّعادة على نفس قريبة من الله– قد أدخلت الهدوء والانسجام على نفس لم تكن قد آمنت .. وأصابت في نفس الوقت نفوساً سعيدة وهي نفوس المؤمنين .. فجعلتها تزداد سعادة .. وتنشرح للإسلام .. ونفسا غاضبة تنوي الشَّر لم تصل إلى الإيمان بعد .. فهدأتها وجعلتها سعيدة .. وانشرح الصَّدر للإيمان .. مع أنَّ الكلام واحد .. وفرق كبير بين حالة المخاطب في الحالتين .. ومع ذلك لأنَّ القائل هو الله ﷻ .. وهو العالم بالنَّفس البشرية التي خلقها .. فقد كان كلامه مناسبًا لكلّ حالات المخاطب مهما اختلفت هذه الحالات مع أنَّه نفس الكلام.."[3]

1- المرجع نفسه، ص19.

2- المرجع نفسه، ص19.

3- المرجع السَّابق، ص20.

وهنا تتجلَّى معالم أثر رحمة الله تعالى في كلامه المنزّه عن كل نقص، حين يُتلى على مسامع قلوب أناس آمنت أم لم تكن آمنت من قبل، وكيف يؤثِّر في وجدان ومشاعر مستمعيه على اختلاف مشاربهم وأذواقهم، فهو حتماً كلام معجز للثَّقلين، فيه السَّكينة والطَّمأنينة حينما يُرفع على آذان القلوب، وحين تستهويه ضمائر وبصائر النَّاس، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [1]، ثم قال أيضا: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [2].

وفي هذا يتَّضح لنا جليا معجزة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنَّه صدقٌ وحقٌ مثل ما أنهم ينطقون، وفي هذا يُخبرنا الله جل ثناؤه عن أثر ما يُلقيه القرآن من عين الحق لما يُتلى على أناس لم تكن من المؤمنين، ولكنَّهم لما سمعوه اندهشوا به، وصارت أعينهم تفيض من الدَّمع من شدّة الحق، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [3]، وما كان لهم من الخِيَرَةِ من الأمر بعد ما عرفوا من الحق إلاَّ الاستجابة لله واتباع الرَّسول ﷺ، ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ** ﴾ [4].

وهكذا نرى أنَّ القرآن الكريم تحدَّى كلَّ النُّفوس في مخاطبتها واخترق جدار أنفسهم بالتَّأثير فيهم وعلى حالاتهم النَّفسية، وأصبحوا موقنين به، وهذا ما يدل على أنَّه كلام معجز لا يأتيه الباطل ولا الزَّيغ من بين يديه ولا من خلفه، وعليه "فالقرآن في هذه النَّاحية قد تخطَّى كل شروط البلاغة في أنَّه مطابق لكلّ أحوال البشر على اختلاف ظروفهم.. ولذلك تحيّر الكفار في هذا الإعجاز في مخاطبة البشر جميعاً .. وفي هذا الإعجاز الذي تهتزّ له قلوبُ كُلِ من يسمعه ويفهمه .. فقالوا ساحر .. سحر النَّاس بكلامه .. لأنَّه لا يمكن لبشر عادي أيا كان أن يأتي بكلام يطابق كل الأحوال .. ولو أخذنا أبلغ بلغاء العصر .. وقلت له أنظم قصيدة .. أو أعد كلاما لتلقيه أمام النَّاس .. فهو لا يستطيع أن يعد كلاما يقوله أمام مجموعة من غير المتعلمين .. ويكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال.. ولكنَّهم وجدوا أنَّ القرآن يخاطب المتعلّم وغير المتعلّم .. ومن هنا كانت المطابقة معجزة."[5]

ومنه نستنتج أنَّ معجزة القرآن الكريم في التَّأثير على النَّفس البشرية أمرٌ لا محالة من وقوعه، وهو لا يزال إلى يومنا هذا يتحدَّى بآياته ونغماته الصَّوتية كل مخلوق في اختراق حواجزه المادية والرُّوحية، لاسيما النَّفسية منها، ويؤثر فيه كيف ما يشاء الله تعالى، وهو أعلم بذات أرواح عباده مؤمنين كانوا أم كافرين.

1- سورة الرعد الآية 28.

2- سورة الزمر الآية 23.

3- سورة المائدة الآية 83.

4- سورة المائدة الآية 84.

5- أحمد زين: **الشيخ الأمام محمد متولي الشعراوي وقضايا العصر**، مرجع سابق، ص20.

ب/ معجزة الدقة والضبط في القرآن الكريم:

لقد تعدَّدت وجوه الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة النَّبوية المطهَّرة، من موضع لآخر، حيث أخذت أشكالا وسُبُلًا وأنماطاً متنوعة ومختلفة، حسب مقام الحال والمقال الذي اقتضته السُّنن الإلهية في إدارة شؤون الحياة الإنسانية، وفي هذا قد منّ الله تعالى بفضله وكرمه على الأمَّة الإسلاميَّة بإنزال الوحي على نبيِّها ﷺ، وجعله دستورا لحياتهم متناهي الدِّقة والضَّبط في أحكامه وتشريعاته، لذلك فالقرآن الكريم في مجمل آياته وسوره أنَّه مُحكماً تحكيماً لا مثيل له، وهو ما يُعبِّر هذا الأخير على وجه من وجوه الإعجاز العلمي، ألا وهو معجزة الدِّقة الضَّبط للقرآن الكريم.

لقد تباينت جهود أعمال الدُّعاة والعلماء الباحثين في هذا المجال على تبيان معجزات القرآن الكريم وأثرها، وجعلها أسلوباً ووسيلةً فعالة ضمن وظائفهم الدّينية لاسيما الدَّعوية منها، حيث أنَّه "لا خلاف بين العلماء في أنَّ الإعجاز القرآني يتمثَّل في أسلوب القرآن، ودقَّة ألفاظه، وذلك التَّوافق والانسجام بين اللَّفظ والمعنى المراد، بحيث يُصوِّر اللَّفظ المعاني أدقَّ تصوير، بحيث تبرز عظمة القرآن في روعة ألفاظه وجمالها، وذلك التَّناسق العجيب بين اللَّفظ والمعنى، والتَّكامل والتَّرابط بين الألفاظ، بحيث تكون اللَّفظة اللُّغوية معبِّرة أدقَّ تعبير عن المعنى المراد، ولو وقع أي إبدال أو تغيير في الألفاظ المترادفة لاختلت المعاني واضطرب الأسلوب."[1]

وفي مقابل ذلك أنَّ القرآن الكريم لم يكن عبثاً في المنطق والمنهج، وإنَّما كان في منتهى الدِّقة من التَّصوير في اللَّفظ والمعنى، ولا يزال ليومنا هذا محل إعجاز وتحدٍ للبشر كافة، حتى يستيقن الذين كفروا، والذين في قلوبهم ريب وزيغ أنَّ الحق من عند الله تعالى، وأن الدِّين الصَّالح لكلّ زمان ومكان هو الذي انتهجه –ﷻ– لعباده وأوليائه المؤمنين ألا وهو الإسلام، وفي هذا نجد القرآن الكريم لا يقاربه شيء ولا يماثله في أحكام دقَّته وضبطه، فقد قيل "إنَّ كل لفظة في القرآن تعبِّر عن الإعجاز وتمثِّل جانبا من جوانبه وتُصوِّر عظمة الأسلوب القرآني، ولا مجال لإبدال كلمة بأخرى أو لفظة بما يماثلها، إذ لكلّ لفظة موسيقاها الخاصة بها من حيث موقعها من الكلام، ومن حيث دقَّة تعبيرها عن المعنى المراد. وإبدال لفظة بأخرى ولو كانت مماثلة للمعنى، تخلّ بالمعنى العام، وتوجد حالة من التَّوقف في ذلك النَّسق القرآني، وكأنَّ الآية ليست هي الآية، وكأنَّ المعنى ليس هو المعنى، فالقرآن وحدة متكاملة، من حيث ألفاظه ومعانيه ورسمه وأداؤه، ولو كتب بغير الرَّسم القرآني لما أدَّى نفس المشاعر التي يولِّدها الرَّسم القرآني في كيفية تعبيره عن الكلمات القرآنية."[2]

كما نرى أنَّ صور دقَّة القرآن الكريم لم تقتصر على الدَّلالات المادية فحسب، بل تعدّت إلى أكثر من ذلك، حيث نجد لفظاً مفرداً يدلُّ على الجمع في تعبير ألفاظ القرآن الكريم، ويظهر هذا جليا في لفظ الطِّفل في قوله تعالى: ﴿...**أو الطفل الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ...** ﴾[3] .

---

1 – النبهان محمد فاروق: **المدخل إلى علوم القرآن**، دار عالم القرآن، حلب، ط:1؛ 1426هـ/2005م، ج1، ص80.

2– المرجع السابق، ص80.

3– سورة النور جزء من الآية 31.

وفي تفسير هذه الآية يقول الشَّعراوي: "تلحظ هنا أنَّ الطفل مفرد، لكن وُصِف بالجمع ﴿ **الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ...** ﴾[1] لماذا؟ قالوا: هذه سِمَة من سمات اللُّغة، وهي الدِّقة في التَّعبير، حيث تستخدم اللَّفظ المفرد للدَّلالة على المثنَّى وعلى الجمع كما نقول: هذا قاضٍ عَدْلٌ، وهذان قاضيان عَدْل، وهؤلاء قضاة عَدْل، ولم نقل: عدلان وعدول، فإذا وُحِّد الوصف في الجميع بدون هوى كان الوصف كالشَّيء الواحد، فالقاضي لا يحكم بمزاجه وهواه، والآخر بمزاجه وهواه، إنَّما الجميع يصدرون عن قانون واحد وميزان واحد. إذن: فالعدل واحد لا يُقَال بالتَّشكيك، وليس لكلّ واحد منهم عدل خاص به، العَدْل واحد.

كذلك الحال في ﴿ **الطِّفْلِ**. . ﴾[2] مع أنَّ المراد الأطفال، لكن قال (الطِّفل) لأنَّ غرائزه مشتركة مع الكلّ، وليس له هَوىً، فكل الأطفال – إذن – كأنَّهم طفل واحد حيث لم يتكوّن لكلّ منهم فِكْره الخاص به، الجميع يحب اللَّهو واللَّعب، ولا شيءَ وراء ذلك، فالجمعية هنا غير واضحة لوجود التَّوحيد في الغرائز وفي الميول."[3].

هنا نلمس براعة فكر الشَّعراوي وثقافته، وتمكنه من اللُّغة العربيَّة، ودقة فهمه لكتاب الله تعالى بحيث يُصوِّر لنا شيئاً من تفاصيل إحدى معجزات القرآن الكريم في دقَّة صوره في تعبير ألفاظ على اختلاف مضمون الشَّكل، مثلما رأينا شرحه في لفظ مفرد يُوصف بالجمع، كما هو الحال في لفظ الطِّفل، فنجد مضمون شكله مفرد لكنَّه –كما قال الشَّعراوي– وصف بالجمع فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ... ﴾[4].

كما يُصوِّر لنا الشَّعراوي من خلال تفسيراته وإشاراته العلمية في القرآن الكريم شيئاً آخر من دقَّة القرآن الكريم وضبطه المحكم، حيث أثر للشَّعراوي بتسجيل مقطع من فديو جاء مفاده ما يلي: أنَّ القرآن الكريم جاء موثَّقاً من عند الله، بحيث يستحيل رؤية مثله من الكتب الأخرى؛ لأنَّه كتاب دين عامة خالد، لذا شاءت الحكمة الإلهية في حفظ القرآن وتنزيهه، ومن العناية في توثيق هذا الكتاب أنَّ ربَّنا لم يأمن خلقه على أن يحافظوا على كتابه، ولأنَّه جُرِّبَ الخلق على المحافظة على الكتب فإنَّهم لم ينفعوا، فردّ حفظه إليهﷻ، ﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ﴾[5]، وكما أنَّ آياته وفق هذا الحفظ الإلهي جاءت دقيقة بكل مقتضى حالها على أنَّ القرآن بشكل ما هو مكتوب مبلغ عن الله تعالى، وأنَّ كلَّ آية في القرآن كما قال "وليم موير" دقيقة في ضبطها كما تلاها محمد ﷺ بشهادة الخصوم، وفي هذا نجد تميِّز القرآن الكريم عن بقية الكتب في دقته وضبطه المحكم للآيات الذي لا يتخلَّله الضّيم من النّقص والعيب، سواء في الشَّكل أو المضمون، ومعنى ذلك كلّه أنَّ القرآن فيه أشياء تدلّك مادياً على أنَّه مضبوط ضبطاً محكماً، وهذا دليل على أنَّه كتاب من عند الله موضوع وضع

1- سورة النور الآية 31.

2- سورة النور الآية 31.

3- محمد متولي الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج16، ص10258- 10259.

4- سورة النور الآية 31.

5- سورة الحجر الآية 09.

حتىَّ يبقى فيه دليل مادي على أنَّه هو كما أُنزل من عند الله كلمات وحروف وكتابة، وأنَّه وصلنا كما أراده الله منطقاً وكتابة وما فيه اختلاف.[1]

ومن وجوه صور دقَّة القرآن وضبطه، "سلامته من التَّناقض والتَّعارض خلافا لجميع كلام البشر وصدق الله حيث يقول: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ [2]، ولا يزال الزَّمن يكشف عن أسرار إعجاز القرآن، فكلّما تقدّم الزَّمن تجّلت نواحٍ من نواحي إعجازه، وقام البرهان القاطع أنَّه تنزيل الحكيم الحميد، ومع ذلك فإنّ هذه الأسرار التي ذكرها العلماء إنْ هي إلاَّ قطرة من بحر علوم القرآن، ومهما اتسع القول وعظم البيان، فإنَّ كلام الله تعالى لا يحيط به أحد، كما لا يحيط أحد بعظمة ذاته، وجليل صفاته !!"[3].

وها هو المستشرق المسيحي (وليم موير)[4] يعترف بدقة القرآن الكريم حيث يقول: "إنَّ نظم القرآن ومحتوياته تنطق في قوة بدقَّة جمعه، فقد ضمنت الأجزاء المختلفة بعضها إلى بعض ببساطة تامة. لا تعسّف فيها ولا تكلّف ولا أثر لأحد في هذا الجمع، سوى التَّأكد والمراجعة لكلّ ما كتب.. والنَّتيجة التي نستطيع الاطمئنان إلى ذكرها هي : أنَّ جمع القرآن لم يكن دقيقاً فحسب ، بل كان كما تدلُّ الوقائع عليه كاملا، وأنَّ جامعيه لم يتعمَّدوا إغفال أي شيء من الوحي...ونستطيع أن نؤكِّد واستناداً إلى أقوى الأدلَّة أنَّ كل آية من القرآن دقيقة في ضبطها كما تلاها محمد."[5]

هذا ولم تكن دقَّة القرآن وضبطه متوقِّفة أو مقصورة على الصُّور المحسوسة والمشهودة في الكون فحسب، بل تعدَّى ذلك إلى نظام التَّشريع وأحكامه من الأمور المادية في فقه العبادات والمعاملات، ومن وجوه صور هذه الدِّقة هو "ذلك التَّشريع الإلهي الكامل، الذي يسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر، في القديم والحديث، فالقرآن الكريم هو الذي وضّح أصول العقائد، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب، وقواعد التَّشريع الاقتصادي، والسِّياسي، والمدني، والاجتماعي، وهو الذي نظم حياة الأسرة، والمجتمع، ووضع أعدل المبادئ الإنسانية الكريمة التي ينادي بها دعاة الإصلاح في القرن العشرين ألا وهي (المساواة، الحرية، العدالة التي يسمونها (الديمقراطية) الشُّورى) إلى غير ما هنالك من أسس الحضارة والتَّشريع."[6].

1- الشيخ الشعراوي: **من أسرار إعجاز القرآن الكريم: الدقة والضبط**، القناة الرسمية لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، تاريخ التصفح: 2019/01/01م، رابط الموضوع https://www.youtube.com/watch?v=mIT4en5enkk

2- سورة النساء الآية 82.

3- محمد علي الصابوني: **التبيان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص141-142.

4- وليم موير Sir William MuirM: (1234-1323هـ/1819-1905م) مستشرق بريطاني، اسكتلندي الأصل، أمضى حياته في خدمة الحكومة البريطانية بالهند، دخل البنغال سنة 1837م وعمل في ((الاستخبارات)) وتعلم الحقوق في جامعتي جلاسجو (Glasgow) وايدنبرج (Edinburgh) وكان ((سكرتيراً)) لحكومة الهند سنة 1865-1868م، وتقلد مناصب أخرى، ثم عين مديراً لجامعة ايدنبرج سنة 1885-1902م وتوفي بها. له: ((شهادة القرآن لكتب أنبياء الرَّحمن-ط))، وصنف بالإنجليزية كتباً في ((السِّيرة النَّبوية)) و ((تاريخ الخلافة الإسلاميَّة)) و ((تاريخ دولة المماليك في مصر))، وله مقالات في شعر العرب. انظر:محمد علي بن جهاد – وهيب: **معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002م**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1؛ 1424هـ/2003م، ج6، ص449.

5- عبد الودود شلبي: **التزوير المقدّس**، دار الشروق، القاهرة، ط:3؛ 1407هـ/1987م، ص97، 98.

6- المرجع نفسه، ص115.

وفي هذا كلّه نجد القرآن الكريم قد ضبط أحكام التَّشريعات في الدِّين من مفروضات حتى السُنَنِ والنَّوافل من أعمال البِّر والإحسان، وأنَّه لم يُسن حُكمًا ولا تشريعاً إلاَّ وفيه مصلحة عامة للعباد والبلاد، تعود عليهم بالنَّفع عاجلا أم آجلا. وعليه قد فصّل كل ذلك تفصيلا ينافي قدرة البشر عن الإتيان بمثله ولو حرصوا جاهدين بأموالهم وأنفسهم على تحقيق ذلك، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [1] .

ج/ معجزة خلق الإنسان:

تُعدُّ معجزة خلق الإنسان من أكبر الأدلَّة والبراهين السَّاطعة المحسوسة على وجود الله تعالى، ولا زالت إلى يوم القيامة شاهدة على أنَّه إله واحد لا شريك له، تفرد بالقدرة في خلق الإنسان الذي أخرجه من العدم، ثم خلقه من تراب، وقد صوَّر لنا الحق تبارك وتعالى ذلك في عِدَّة آيات من كتابه العزيز، منها قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ [2]، ثم تابع الحق ﷻ خلق الإنسان على مراحل اقتضت قدرته ومشيئته ذلك، لحكمة لا يعلمها سواه، قال تعالى: ﴿ **مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا** ﴾ [3]، فكان مُنْطلق ومبدأ خلق الإنسان الأوَّل هو من طين ثم نطفة في قرار مكين، ثم علقة فمضغة، ثم عظماً مكسواً بلحم، ومن ثمَّ إنساناً قائماً بروح من الله تعالى، قابلاً للأمر والتَّكليف، ومصداقُ ذلك، ما قاله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [4].

[4].

وعلى غرار هذا يقول الشَّعراوي مبيّنا حكمة تعدّد آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم: "ونعلم أنَّ خَلْق آدم قد أخذ لقطات متعدّدة في القرآن الكريم؛ تُؤدّي في مجموعها إلى القصَّة بكل أحداثها وأركانها، ولم يكُنْ ذلك تكراراً في القرآن الكريم، ولكن جاء القرآن بكل لَقْطة في الموقع المناسب لها؛ ذلك أنَّه ليس كتاب تاريخ للبشر؛ بل كتاب قِيَم ومنهج، ويريد أن يُؤسّس في البشر القيم التي تحميهم وتصونهم من أيّ انحراف، ويريد أن يُربِّيَ فيهم المهابة."[5]

ولقد ظلَّت مسألة خلق الإنسان في ضوء فكر الشَّعراوي من أولى المسائل ذات الأهمية البالغة في العلوم الإسلاميَّة، وفي الأدلَّة المادية على وجود الله تعالى، التي يستشهد بها –الشَّعراوي– في نفحات تفسيره وخواطره، حيث اجتهد –رحمه

1- سورة الإسراء الآية 88.

2- سورة مريم الآتين: 66-67.

3- سورة الكهف الآية 51.

4- سورة المؤمنون، الآيات 12-14.

5- محمد متولي الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج12، ص7688.

الله– في تصوير هذه القضية من خلق الإنسان بالشَّرح والتَّحليل، وشيء من التَّفسير العلمي، لكي يبيِّن أنَّ هذه المسألة من المعجزات الدَّالة على وجود الله ﷻ، ويردُّ كيد المنكرين على صحة ذلك من القرآن الكريم.

وفي هذا السِّياق يشرح لنا الشَّعراوي ذلك بصبغته العلمية في التَّفسير، حيث يقول: "إنَّ الإنسان عندما ينظر إلى أصل تكوينه يجده خلاصة طين، ثم بعد ذلك نطفة أي: ماء فيه كل عناصر الحياة الأولى، وتستقر النُّطفة في الرَّحم وهو مكان محصَّن باللِّين، ذلك أنَّ الرَّحم لين من أنسجة ليِّنة تقع بين عظام حوض المرأة، وهو من أصلب العظام في سنوات إنجاب المرأة، وعندما تستقر النّطفة ويتزاوج الحيوان المنوي ببويضة المرأة يصبح النَّاتج قطعة من الدَّم التي تتحوَّل إلى لحم..ثم يصير هيكلاً عظمياً، ثم يتم كساء العظم باللَّحم ..ثم في تمام الخلق ينزل الطِّفل مختلفاً عن البداية التي بدأ منها .. ولا يوجد من هو أقدر إبداعاً من الله."[1]

ويحاول الشَّعراوي بتفسيره للمعجزات الكونية والتَّدبر فيها أن يربط ذلك بالإيمان بالله ﷻ انطلاقا من خلق الكون والإنسان إلى أصغر شيء في الوجود ألا وهي الذَّرة وتقسيمها، وفي هذا الصَّدد نجد أنَّ الحق تبارك وتعالى قد طلب منَّا أن ننظر في خلق السَّموات والأرض وما خلق الله في الكون ليشهد الإنسان بنفسه وببصيرته عظمة الخالق وقدرته، ويرى كيف دقَّق وتفنَّن في إتقان الخلق ودقَّة صنعه في ذلك، والعلاقة هنا علاقة تناسبية، كلّما اتّضحت وانكشفت آية كونية انجر عنها الإيمان بالله تعالى إلاَّ من أبى، وعليه نجد المقصد الحقيقي وراء هذا التَّدبر والتَّفكر هو مشاهدة عظمة الله تعالى، وثم وجب الإقرار بوحدانيته ﷻ والعبادة له –وحده– كونه يستحق ذلك بلا منازع.[2]

وحول معجزة خلق الإنسان، يعتبر القرآن المصدر الوحيد الذي يُصوِّر مراحل نشأتها وتطوِّرها بنظام دقيق، وقد تفنَّن الشَّعراوي بأسلوبه العلمي الطَّريف، حتى يدغدغ مشاعر النَّاس، ويصل إلى مسامعهم بسهولة مستوعبين قول الله تعالى.

د/ معجزة خلق السَّماء والأرض:

تُعدُّ مسألة خلق السَّموات والأرض من أكبر الشَّواهد المرئية القاطعة على قدرة الله تعالى، على أنَّه نشأ هذا الكون بقدرة مذهلة في الإبداع، وجعلها آية باقية وشاهدة على أنَّه خالق مدبِّر واحد لهذا الكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومنه تعدَّدت الآيات في مسألة خلق السَّموات والأرض، منها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (3). "والرَّتْق: الشَّيء الملتحم الملتصق، ومعنى ﴿ فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ أي: فَصلَنْاهما وأزَحْنَا هذا الالتحام."(4)

1– محمد متولي الشعراوي: **من فيض الرَّحمن**، دار أخبار اليوم، (د.م)، (د.ط)، ج1، ص27–28

2– انظر: محمد متولي الشعراوي: **معجزة القرآن الكريم**، دار أخبار اليوم، (د.م)، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص18–19.

3– سورة الأنبياء الآية 30.

4– محمد متولي الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج15، ص9518.

ويفسر الشَّعراوي هذه الآية بقوله: "أن الأرض وحدها كانت رَتْقاً، فتفجَّرت بالنَّبات، وأنَّ السَّماء كانت رتْقاً فتفجَّرت بالمطر، فشقَّ الله السَّماء بالمطر، وشَقّ الأرض بالنَّبات الذي يصدعها:﴿ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ۞وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (1) .

وقال عن السَّماء: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ.. ﴾ (2) على اعتبار أنَّ السَّماء كُلُّ ما علاك فأظلّك، فيكون السَّحاب من السَّماء.

نفهم من خلال هذا الرَّأي أنَّ الفَتْق ليس فَتْقَ السَّماء عن الأرض، إنَّما فتق كل منهما على حِدَة، وعلى كل حال هو فَهْم لا يُعطي حكماً جديداً، واجتهاد على قَدْر عطاء العقول قد تُثبته الأيام، وقد تأتي بشيء آخر، المهم أن القولَيْن لا يمنع أحدُهما الآخر."(3)

وعليه فقد أثرى الشَّعراوي هذا الجانب بتفسيره العلمي، وأعطى بعض اللَّطائف الإشارية في بعض مسائل وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حيث ألقى نظرة عميقة بحسِّه وإدراكه الجيِّد في كيفية خلق السَّماء، بغية الإقرار بوحدانية الله تعالى والإيمان به والدَّعوة إليه، وفي هذا يفسِّر لنا الشَّعراوي جوانب من خلق السَّماء بتفسير علمي، حيث يقول: "لقد قدَّم لهم الدَّليل المادي في الأصل الواحد للسَّموات والأرض ..ومن أنَّ الماء هو سرّ الحياة .. فإنْ لم يؤمنوا، حينئذٍ يكون عدم إيمانهم مُكابرة وعنادا، ويكون عذابهم في جهنَّم عدلا من الله الذي أعطاهم الدَّليل تلو الدَّليل، ومع ذلك لا يؤمنون.

وقبل أنْ نترك السَّماء وآياتها لابدَّ أن نتحدَّث عن الإعجاز في خلق السَّموات والأرض.. نحن ننظر إلى السَّماء ونرى أشياء وتغيب عنا أشياء مثلا عندما عرض معنى الآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (4)."(5)

واستشهد في هذا المجال بقول أحد العلماء الغربيين في ضوء هذه الآية(6) حيث يقول الشَّعراوي: "قرأ البروفيسور يوشيدى كوزاى مدير مرصد طوكيو هذا الكلام وقال: إنَّ العلم لم يصل إلاَّ منذ فترة بسيطة جدا إلى أنَّ السَّماء كانت دخانا وقد أصبح هذا شيئاً مشهوداً ومرئيا الآن. وبعد إطلاق سفن الفضاء والأقمار الصِّناعية وعرض صور التقطت لنجم في السَّماء وهو يتكون.. وقد بدأ كتلة من الدُّخان في وسطها تكون الجزء المضيء من النَّجم وحوله الدُّخان وتحيط بالدُّخان حافة حمراء دليل على ارتفاع درجة الحرارة.. وقال: لقد كنَّا نعتقد منذ سنوات فقط أنَّ السَّماء كانت ضبابا ولكنَّنا

1- سورة الطارق الآيتان: 11-12.

2- سورة الفرقان، الآية 25.

3- محمد متولي الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج15، ص9524-9525.

4- سورة فصلت الآية 11.

5- محمد متولي الشعراوي: **الأدلة المادية على وجود الله**، دار أخبار اليوم، (د.م)، (د.ط)، (د.ت)، ص106-107.

6- سورة فصلت الآية 11.

عرفنا الآن بعد التَّقدم العلمي بأنَّها ليست ضبابا ولكنَّها دخان..لأنَّ الضَّباب خامد وبارد..وقال إنَّني متأثّر جدا باكتشاف هذه الحقيقة في القرآن."(1)

وتثمينا لذلك قيل أنَّ "الكون كان في بدء نشأته نقطة متناهية الصِّغر، ومتناهية الضَّخامة، في كتلة غازية عظيمة الكثافة واللَّمعان والحرارة، ثم بتأثير الضَّغط الهائل المتأتي من شدَّة حرارتها حدث انفجار عظيم فتق الكتلة الغازية، وقذف بأجزائها في كل اتجاه، فتكوَّنت مع مرور الوقت الكواكب والنُّجوم والمجرَّات."(2)

وهذا العالم الإنكليزي (فرد هويل Freed Hwill) يقول في نظرية الانفجار: "تقول نظرية الانفجار الكبير بأنَّ الكون نشأ نتيجة انفجار كبير، ونحن نعلم أنَّ كل انفجار يُشَتت المادة ويُبعثرها دون نظام، ولكن هذا (الانفجار الكبير) عمل العكس بشكل محفوظ بالأسرار، إذ عمل على جمع المادة معاً لتشكيل المجرَّات."(3)

في حين أنَّ "القرآن لم يأتِ ليعلمنا أسرار الكون، ولكنَّه جاء بأحكام التكليف واضحة وأسرار الوجود مكتنزة حتى تتقدَّم الحضارات ويتَّسع فهم العقل البشري.. فيكشف الله ﷻ من أسرار الكون ما يجعلنا أكثر فهما لعطاءات القرآن لأسرار الوجود، فكلَّما تقدَّم الزَّمن وكشف الله للإنسان عن سرّ جديد في الكون ظهر إعجاز في القرآن؛ لأنَّ الله ﷻ قد أشار إلى هذه الآيات الكونية في كتابه العزيز، وقد تكون الإشارة إلى آية واحدة أو بضع آيات، ولكن هذه الآية أو الآيات تعطينا إعجازا لا يستطيع العلم أن يصل إلى دقَّته."(4)

ومن خلال هذا العرض يتَّضح لنا أنَّ الشَّعراوي (كداعية أو مفسِّر) لم يكن من علماء المادة والذَّرة، والفلك..، وإنَّما كان من علماء الدِّين والتَّفسير، الذين فتح الله عليهم وألهمهم إشارات نورانية حول بعض المسائل العلمية والإعجازية في القرآن الكريم، إذْ ساهم في هذا المجال بكل ما امتلكه من مقوِّمات علمية وبلاغية أهلته لفهم إشارات القرآن الكريم، وبالطَّواف بمعانيه، وفهم معجزاته وتصويرها للنَّاس على شكل أسس تربوية دعوية بصبغة علمية تتماشى مع نظريات العلم الحديث، ليستحوذ الشَّعراوي من خلال الملكة الموهوبة له، على أفئدة النَّاس والانتقال بهم وبحالهم إلى حضرة الله تعالى، والتي هي من أعظم وأجلِّ المقاصد الشَّرعية التي جاء بها القرآن الكريم، ووجَّهت إليها السّنة النَّبوية المطهَّرة، وانتهجها العلماء والدُّعاة في مسيرتهم العلمية والدَّعوية، لإنقاذ النَّاس من ظلمات الشِّرك والجهل بالله تعالى، إلى الإقرار بوحدانيته ﷻ في

1- محمد متولي الشعراوي: **الأدلة المادية على وجود الله**، مرجع سابق، ص107.

2- رياض عيد روس عبد الله: **خلق الكون من العدم في ضوء الدراسات الفلكية**، تحقيق، قسطاس إبراهيم النعيمي، (د.ن، د.ط، د.ت)، ص14.

3- ماهر أحمد الصُّوفي: **الموسوعة الكونية الكبرى**، (آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة وفي السَّماء الدنيا والسموات السبع)، المكتبة العصرية، بيروت، 1429هـ/2008م، ج(3-4)، ص188.

4- محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، مدخل، ص9-10.

كل زمان ومكان، وعلى إثر هذا جاءت الآيات القرآنية تُبيّن ذلك فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [1].

وفي الأخير وبعد هذه الجولة من البحث في رحاب الدَّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ عند الشيخ محمد متولي الشعراوي ومن أجل تحديد ركائز الدَّعوة عنده في ضوء دائر الإعجاز العلمي التي يستند عليها في الدعوة، توصَّلنا إلى النَّتائج التالية:

- تُعدُّ الدَّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ من أجل الوظائف الرَّبانية والمِهن النَّبوية التي سار في تطبيقها خير من بُعث على وجه الأرض من الأنبياء والمرسلين ﷺ.
- يعد الشَّعراوي أشهر من فسّر القرآن الكريم في العصر الحديث والمعاصر، واتسم منهجه في التَّفسير بالطابع الإيماني المفعم بالرُّوحيات، وغلب على أسلوبه في كل من الدَّعوة والتَّفسير: التيسير والوضوح والبيان، واستغل لذلك كل من الإذاعة والتلفاز الصَّحافة باعتبارها إحدا الوسائل الحديثة والمعاصرة لنشر الإسلام وتليغ أحكامه للناس، وتبيان ضوابط منهجه في الحياة.
- كما يعد الشيخ الشعراوي أحد رواد الأعجاز العلمي في تفسير آياته وإشاراته في القرآن الكريم.
- الملاحظ في منهج الشَّيخ الشَّعراوي أنَّه استند إلى خلفيته الإيمانية وتربيته في أغلب تفسيره وإشاراته العلمية للآيات القرآنية، فكان مُعَوَّلُه في كل ما يقوم به من أعمال علمية في مجال الدَّعوة إلى الله يستند إلى الآية الكريمة: ((واتقوا الله ويعلمكم الله))، ففي تفسيره دائما الجديد الذي ينفرد به على غيره، ومرتكز هذا الجديد هو ما يُعبِّر بالفتح الربّاني في فهم الإشارات العلمية والمعاني القرآنية.
- تميز تفسير الشَّعراوي عن غيره بالحديث عن إشارات ودلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
- أعطى وأولى الشيخ الشعراوي في تفسيره للقرآن الكريم أهمية بالغة للتفسير العلمي والإشارات العلمية للآيات القرآنية.
- يعد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أحد الأساليب والوسائل الدعوية الحديثة المرتكز عليها في مضمار العمل الدعوي.
- ساهم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في إقناع الكثير من العلماء والباحثين في استجابة الخطاب الدعوي.
- لقد أدت تنوع صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم إلى اتساع دائرة الدعوة الإسلامية، ما نتج عن ذلك استجابة الدعوة.
- أدى مفهوم الإعجاز العلمي ودلالته والاعتناء به إلى اتساع دائرة العقل البشري واستنارة الفكر وتنوير القلب.

1- سورة فصلت الآية 53.

- تنوع صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يحيل الإنسان أن لهذا الكون المحكم والمتقن في الصنعة والمظهر لم يأتي صدفة ولم ينشأ عبثاً وإنما كان له إلها واحدا متصرفا في شأنه ما زاد ذلك كله اتساع دائرة الإسلام.
- فهم الشَّيخ للنصوص القرآنية والأحاديث النَّبوية الشريفة وقدرته على الاستنباط وفق مجريات الأحكام والإرادة الإلهية يدرك بعمتي الصّحة والفراغ، فاستغل وقته أحسن استغلال في العبادة بين الصَّلاة والأذكار والتَّدريس والتَّربية والتَّوجيه والتَّأليف، ما جعل منه شيخاً كاملاً متكاملاً محترماً من الجميع، يستحق الاستنارة بمسيرة حياته المعطاءة.